رجال المال والاعمال

اوغسط هكشر August Heckscher

قرأنا في المجلة الاميركية انهُ فُتحت منذ عهد قريب مدرسة خصوصية في نيويورك لا اجمل منها في الدنيا بين المدارس الخصوصية ولا اكمل في معداتها . وقد بلغت نفقات انشائها ثلاثة ملايين من الريالات الاميركية اي اكثر من ٦٦٠ الف جنيه مصري . وهي مبنية في الافنيو الخامس اغلى احياء نيويورك وفيها بركة يسبح فيها التلامذة اكبر من كل بركة في اميركا وتياترو لتسليتهم تولّى نقشهُ امهر رجال الفن ويديرهُ رجل من امهر مديري التمثيل . وقد يُظن لاول وهلة ان هذه المدرسة انشئت لاولاد الاغنياء من اصحاب الملايين . والحقيقة ان الذي انشأها رجل من الجمسين رجلاً الأوّل ارباب المال والاعمال في اميركا ولكنهُ لم ينشئها لاولاد الاغنياء بل لاولاد الازقة المنبوذين الذين ترى امثالهم في شوارع القاهرة فيدخلهم الى هذه المدرسة يتعلمون فيها ويتهذبون حتى تكبر نفوسهم ويخرجوا منها لتعاطي الاعمال كأنهم من اعلى طبقات الامة الاميركية

اسم هذا الرجل اغسطس هكشر ولد في همبرج بالمانيا سنة ١٨٤٨ وكان ابوهُ من المحامين المشهورين وتولّى مرة رآسة الوزارة في بلادهِ . وقد قال عنهُ صاحب الترجمة لقد تزوج اميّ بعد ان كبر في السن فلا اتذكرهُ الاّ شيخاً بديناً فكنت اخاف منهُ . ولما صار لي من العمر ثلاث عشرة سنة او اربع عشرة سنة سألني عن العمل الذي اريد ان اتعاطاه فقلت لهُ اني اريد ان اصير تاجراً . فقال وما هو التاجر . فتلعثم لساني ولم احر جواباً . فقال اتريد ايها الابله ان تصير تاجراً وانت لا تعرف ماهية التاجر ولكن ما دمت قد اخترت التجارة حرفة فليكن كذلك

ومن ثم غيّر اسلوب تعليمي لانهُ كان يعدّني لاكون محامياً فاخرجني من المدرسة التي كنت فيها وبعث بي الى مدرسة في سويسرا . ولما عدت منها وضعني عند تاجر من تجار الصادر في همبرج فكان يُطلب مني ان اقوم بكل الاعمال في ذلك المحل فتعلمت بالاختبار كل ما يستدعيهِ اصدار البضائع من حيث سفر السفن ودفع الرسوم وقيمة النقود الاجنبيّة واثمان البضائع على انواعها في مختلف البلدان

وممن يبيعها ومن يشتريها وما السبيل الى تحقيق الربح وتجنُّب الخسارة . ولما صار عمري ١٩ سنة اردت المجيء الى اميركا لانه كان لنا كثير من الاقارب فيها لكنّ ابي وامي عارضاني في ذلك ولم يكن لديهما نقود يعطياني بها وحسبا اني لا افلح ما لم يكن معي رأس مال اشتغل به. فقلت لهما انكما اذا اعطيتماني اجرة سفري الى اميركا وقليلاً فوقها يكفي لمعيشتي مدة ما اتعلّم الانكليزية فلا اطلب منكما درهماً فوق ذلك ما دمت حيًّا

فرضيا واعطتني امي ما يساوي خمسمائة ريال بمعاملة هذه الايام فركبت البحر وكان ذلك سنة ١٨٦٧ وبقينا في الطريق نحو اربعة اسابيع . وكنت اعلم ان الحرب الاميركية بين الشمال والجنوب قد انهكت قوى البلاد فلا يسهل تعاطي الاعمال الجديدة فيها ولا عزمت ان اتعاطى عملاً قبلما اتعلم اللغة الانكليزية واصير قادراً على استعمالها كما استعمل لغتي الالمانية. فاستأجرت غرفة في ارخص الشوارع وشرعت اتعلم الانكليزية وانا عازم ان اتعلمها جيداً قبلما تنفد نقودي . ولم يكن في طاقتي ان استعين بمعلم فاشتركت في مكتبة التجّار وكنت اقيم فيها ١٥ ساعة كل يوم اقرأ كتباً انكليزية مستعيناً على فهمها بالقاموس فلم تمضِ ثلاثة اسابيع حتى صرت قادراً على فهم ما اقرأ . اما اللفظ فكنت أعلم انهُ يستحيل عليَّ اتقانهُ على هذه الصورة فجعلت اخاطب المتعلمين من الاميركيين وانتبه للفظ بنوع خاص فتمكنت في ثلاثة اشهر من التكلم بالانكليزية

وكان احد انسبائي يملك منجم فحم في بنسلفانيا فطلب مني ان اعمل فيهِ فبادرت اليهِ واتفق ان نسيبي هذا مرض بعد اسبوعين فاضطررت ان اتولى مراقبة ذلك المنجم وحدي وانا انتظر كل يوم ان يشفى نسيبي ويعود الى ادارتهِ لكن مرضهُ طال واضطرَّ ان ينقطع عن العمل سنتين وكان معي رجل يدير العمل من حيث استخراج الفحم ولم يكن عليَّ الاَّ المراقبة العمومية من حيث تقليل النفقات ومنع الاسراف وبيع الفحم باعلى سعر يمكن الحصول عليهِ فاستعنت على ذلك كلهِ بما تمرنت عليهِ في معمل من العمل التجاري

وكان الفحامون في ذلك الوقت معتصبين مستبدين لا يستطيع صاحب المنجم او مديرهُ ان يفيظ احداً منهم ويسلم فانهم كانوا يقتلونهُ فعلاً لا في منجمهِ بل في مكان بعيد عنهُ حتى لا يُعلَم من القاتل واذا اتُّهم احد منهم بقتلهِ شهد رفاق المتهم

انهُ كان في ذلك اليوم وتلك الساعة في مكان آخر بعيد عن المكان الذي جرى فيهِ القتل . حتى القضاة كانوا يخشون ان يحكموا على احد من اولئك الفحامين

ثم قصَّ كيف تمكن من فض اعتصابهم بتحديهم من جهة وبانصافهم من اخرى. وكيف انتقل من استخراج الفحم الى استخراج الزنك الى ان صار من اكبر الاغنياء بالهمة والاستقامة. قال ان منجم الفحم الذي كان يديرهُ لم يكن العمل فيهِ كثير الربح ومع ذلك احتاجت اليهِ سكة الحديد فاشترتهُ بعد خمس عشرة سنة بثلاثمائة الف ريال فاخذ نصيبهُ من الثمن وابتاع ارضاً وجد فيها منجماً للزنك (التوتيا) غنيًّا جدًّا لكن شركة اخرى ادَّعتهُ فالتجأ الى القضاء للفصل في هذه الدعوى وطالت المداعاة فانفق فيها كل ما معهُ وكل ما استدانهُ ورهن عليهِ حصتهُ في ذلك المنجم وخشي ان تباع بيعاً جبرياً فيمسي وهو لا يملك شيئاً . قال وكنت قد بلغت الثانية والاربعين من العمر ولم اخلف وعداً في حياتي كلها فذهبت الى بنك في بنسلفانيا وقابلت مديرهُ وكنت اعرفهُ قليلاً ولكنني لم اكن قد عاملتهُ واخبرتهُ بقصتي من اولها الى آخرها فقال لي أستطيع ان اقرضك خمسين الف ريال وقد تستطيع ان ترهن عندي ما عندك من المستندات بما عملك من منجم الزنك ولكن لا داعي لذلك والمال تحت امرك

فذهلت لانني لم اكن انتظر ان انال كل هذا المبلغ ولا ان اعطى شيئاً من غير ضمان حقًّا . ان من يُعنى بصيتهِ من يجدُّ في عملهِ ممن يسير بالاستقامة يجد وقت الشدة انهُ بنى لنفسهِ اسماً فوق ما ينتظر

ومن الاقوال المأثورة عنهُ قولهُ على اثر ذلك وهو ان الانسان يبني صيتهُ في الاستقامة وهو بين الثلاثين والاربعين من عمرهِ ولكنهُ قلما يستطيع ان يستفيد فائدة مالية من صيتهِ قبلما يناهز الاربعين

اما كيف اشتغل في مداعاة الشركة الى ان فاز عليها بعد سنين كثيرة وكيف زادت ثروتهُ من بناء المساكن فما يحسن ان يكون قدوة لارباب الاعمال وربما اتينا على تفصيلهِ في فرصة اخرى

ولنا في نشر ما نشرناهُ من سيرة هذا الرجل غايتان كبيرتان الاولى الاستدلال على ان الاستقامة واصاف العمال من اول اسباب النجاح في الاعمال والثانية ان افضل ما ينفق عليهِ مال الاغنياء نفع الناس ولاسيما اذا انفق على ابناء الامة وعلى اسلوب يرقيهم ويعلي شأنهم